

أربعون البناء الذاتي في السنة النبوية

جزء (٨)

إعداد وتعليق
د. حمزة بن فايع الفتحي

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

المدخل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه
أجمعين
أما بعد:

فُيعد البناء الذاتي من الموضوعات العصرية، التي اشتدت هذه الأيام، واتسعت دوراته ودعائه ورواده، حتى بات بعض المعتنين به يعزله عن الإسلام، ويباهي به متفاخرا، وأنه منجز غربي، كان من أسباب تفوق أفرادهم وبروزهم، وتُعقد لها الدورات واللقاءات، وانصرف إليها إلى درجة تضييع العلم الشرعي، والزهد فيه، فتلقى بعضهم يحصل عشرات الدورات والدبلومات، ويبدل أموالا طائلات، ويظن أنه بلغ المعنى، أو حاز المقام الأعلى، في بناء الذات وتطويرها، وجلّ ذلك ومقاصده وارد في الوحيين، وتصدّت السنن الصحاح، والأخبار الملاح في شرح ذلك وتبيينه للناس...! وأرشدت إلى خطوات البناء، ومفردات التطوير والإتمام، ولكنهم لا يقرؤون ولا يتفقهون، والله المستعان.

وسيرا على (منهجنا الأربعيني الاصطفائي التعليمي) ، نستخرج لهم، مستنبطين دررا من السنة في بناء الذات وتهذيبها، والحرص على تتميتها وتزكيتها، وأن الإسلام جاء لنقل النفس وارتقائها، بحيث تبلغ النضج والعلو، وتتسامى عن السفساف والدنو، وتكون فاعلة إيجابية، منتجة مثمرة، (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) سورة الشمس .

١/ الحديث الأول : تنظيم الوقت للمهام :

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَرَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً-أَيْ غَيْرَ مَتْرِينَةٍ-.. وَفِيهِ (فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ سَلْمَانُ). البخاري (٦١٣٩).

فيه حُسْنُ تَنْظِيمِ الْوَقْتِ لِلْمَهَامِ، وَأَنْ ثَمَّةَ حَقُوقًا أُخْرَى يَجِبُ مَرَاعَاتُهَا، وَأَنْ طَغْيَانَ حَقِّ عَلَى آخِرِ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَفَقَهُ سَلْمَانَ وَتَصَدِيقَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَنْهَجِهِ، وَأَنْ النَّفْسَ الصَّاعِدَةَ مَنْظُمَةً فِي حَيَاتِهَا، مَوْزَعَةً لِأَدْوَارِهَا .
قال في الفتح: وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السامة والملل ، وتقويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور، وإنما الوعيد الوارد على من نهى مصليا عن الصلاة مخصوص بمن ناهى ظلما وعدوانا. وفيه كراهية الحمل على النفس في العبادة...

٢/ الحديث الثاني: الموازنة بين الدنيا والآخرة :

عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه في حديثه نافق حنظلة... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ ؛ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ فَرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ، سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ) . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. مسلم (٢٧٥٠).

فيه ضرورة الترتيب بين احتياجات القلب واحتياجات الجسد والمعاش، وهو قوله ساعة وساعة، وأن طبيعة الحياة تقتضي عدم الدوام على حال، ولكن العبد يسدد ويقارب.

قال في التحفة رحمه الله: " قوله (لو كنتم كما تكونون) : نبههم على أن الحضور لا يدوم عادة ، وعدمه لا يضر في وجود الإيمان في القلب والغفلة إنما تنافي الحضور فلا يلزم منها عدم الإيمان .

(و) ساعة) يكون الحضور لينتظم به أمر الدين، وساعة تكون الغفلة لينتظم بها أمر الدين والمعاش وفي كل منهما رحمة على العباد .

٣/ الحديث الثالث: الإصرار التعليمي:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعْلَمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُؤَقِّهِ).
الطبراني في المعجم الأوسط (١١٨/٣).

فيه فضل العلم والتعلم، وأن ما فات يدرك بالتعلم والإصرار العلمي، والحرص على المواصلة والبحث وتهذيب الروح، وأن لا تحدث نفسك بالعجز أو بالعذر، فمن جد، ومن سار على الدرب وصل .

٤/ الحديث الرابع : شرف العمل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيهِ أَوْ يَمْنَعَهُ) البخاري (٢٠٧٤).

فيه بيان شرف العمل وقيام المرء على نفسه، وإصلاحه شؤونها ، والتقوت الحلال، ودم السؤال، وأن جمع الحطب الميسور، خير من السؤال المشؤوم . قال في الفتح رحمه الله: " وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزّه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسئول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل..".

٥/ الحديث الخامس : تحقير النفس وتبعاته :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبِثْتُ نَفْسِي. وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسْتُ نَفْسِي) . البخاري (٦١٩٦).مسلم(٢٢٦٠).

في الحديث كراهة تحقير النفس واستعمال الألفاظ التعيسة، والدامية في الوجدان . قال الحافظ رحمه الله: قال ابن أبي جمرة -رحمه الله-: قال: ويؤخذ من الحديث : استحباب مجانية الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما، لكن لفظ الخبث قبيح ويجمع أموراً زائدة على المراد، بخلاف اللقس فإنه يختص بامتلاء المعدة. قال : وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة.

قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله لا يقول لست بطيب، بل يقول ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين فيلحقها بالخبثين...). ويشبه هذا ترديد كلمات سلبية تنعكس على المشاعر الداخلية وقد تترسخ فيها نحو: أنا عصبي- شخصية غضوبية- لا أفه التفاوض - لست موفقاً - الدنيا مقفلة في وجهي...! وأخواتها السلبية المثبطة .

٦/ الحديث السادس: طلب المنافع والحرص عليها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزُ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) . مسلم (٢٦٦٤).

فيه قصد المنافع والخيرات، وتوجيه السلوك والهمة إلى ما فيه صلاح العبد وارتقاؤه .

قال الإمام النووي رحمه الله: (والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة ، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد ، وأسرع خروجا إليه ، وذهابا في طلبه ، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصبر على الأذى في كل ذلك ، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلبا لها ، ومحافظة عليها ، ونحو ذلك).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: من فوائده: (أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده ، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع ، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص : كان حرصه محمودا ، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين ..)

٧/ الحديث السابع : تشجيع التلاميذ :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى : (لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ) . البخاري (٥٠٤٨) مسلم (٩٧٣) .

فيه تشجيع التلاميذ وتحفيزهم، وأثر الكلمة الطيبة على أصحابها، ومنقبة لأبي موسى، واستحباب التغني وتحسين الصوت بالقرآن .

قال الحافظ رحمه الله : المراد بالمزمار الصوت الحسن ، وأصله الآلة أطلق اسمه على الصوت للمشابهة
وقوله " من مزامير آل داود "

أي من ألقابه . قال النووي في شرح مسلم : قال العلماء المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن وأصل الزمر الغناء وآل داود هو داود نفسه ، وآل فلان قد يطلق على نفسه ، وكان داود صلى الله عليه وسلم حسن الصوت جدا انتهى .

٨/ الحديث الثامن: توظيف الطاقات وحفزها :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ ، فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَالَ : (إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِيمُ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ) . البخاري (٤٢٥٠) مسلم (٢٤٢٦) .

فيه حُسن اختيار القائد لطلابه، وتوظيفهم التوظيف الأحسن، واحتواء القادة والمنقنين منهم .

قال في الفتح رحمه الله: " وفيه جواز إمارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضلون على الفاضل؛ لأنه كان في الجيش - الذي كان عليهم أسامة - أبو بكر وعمر " .

٩ / الحديث التاسع : فعل المعروف على كل حال:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ) . مسلم (٢٦٢٦) .

فيه فضل صناعة المعروف وعدم احتقاره، وهو كل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد.

ولو أن تتبسم بسمة اللقاء، وبسمة الحب، وبسمة التواضع ومكارم الاخلاق، والتي لا تكلف جهداً ولا مالا .

قال النووي رحمه الله : (فيه الحث على فضل المعروف ، وما تيسر منه وإن قل ، حتى طلاقة الوجه عند اللقاء) .

١٠ / الحديث العاشر : حُسن الهيئة والمنظر :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً : (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بِطَرِّ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ) . مسلم (٩١) .

فيه استحباب التجمل والنظافة، وأن ذلك مما تحبه الأنفس، وترتاح له الأنظار، ويورث السرور، شريطة انعدام الكبر والخيلاء .

١١ / مواجهة الكسل والعجز ودفعهما :

عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ) . البخاري (٢٨٩٣) .

فيه دفع الكسل والعجز بالاستعاذة، لا سيما وأنه أشد العوائق الحائلة دون العمل والانضباط والإنجاز، وفي استعاذته من الجبن دليل على أهمية الشجاعة والثقة بالنفس وعدم التردد والخوف .

والكسل : هو التناقل عن الفعل مع القدرة عليه .

قال ابن القيم رحمه الله :

"الإنسان مندوب إلى استعاذته بالله تعالى من العجز والكسل ، فالعجز عدم القدرة على الحيلة النافعة ، والكسل عدم الإرادة لفعلها ، فالعاجز لا يستطيع الحيلة ، والكسلان لا يريدونها" .

وقال أيضا: الكسالى أكثر الناس همًا وغمًا وحرزًا، ليس لهم فرج ولا سرور، بخلاف أرباب النشاط والجد في العمل.

قال النووي رحمه الله :

"وَأَمَّا اسْتِعَاذَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، فَلِمَا فِيهِمَا مِنَ التَّقْصِيرِ عَنْ أَدَاءِ الْوَأَجِبَاتِ ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ ، وَالْإِعْلَاطِ عَلَى الْعُصَاةِ ، وَلِأَنَّهُ بِشَجَاعَةِ النَّفْسِ وَقُوَّتِهَا الْمُعْتَدِلَةَ تَتِمُّ الْعِبَادَاتُ ، وَيَقُومُ بِنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَالْجِهَادِ ، وَبِالسَّلَامَةِ مِنَ الْبُخْلِ يَقُومُ بِحُقُوقِ الْمَالِ ، وَيَنْبَغِثُ لِلْإِنْفَاقِ وَالْجُودِ وَلِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَمْتَنِعُ مِنَ الطَّمَعِ فِيمَا لَيْسَ لَهُ" انتهى.

١٢ / الحديث الثاني عشر: التوكل والتسبب :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رجلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِفْهَا وَأَتَوَكَّلْ ؟ قَالَ : (اَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ) الترمذي (٢٥١٧).
 فيه فضل التوكل، وأن تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل ، وأن فلاحك الاجتماعي باجتماع أمرين التوكل على الله، والأخذ بالأسباب .
 قال في التحفة رحمه الله: " (وأتوكل)
 أي على الله بعد الإرسال، (قال اعقلها) قال المناوي : أي شد ركلة ناقتك مع ذراعيها بحبل، (وتوكل)
 أي اعتمد على الله ، وذلك لأن عقلها لا ينافي التوكل .
 وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، وإن تركها عجز ينافي التوكل، الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً. اهـ.

١٣ / الحديث الثالث عشر : تقوية الشجاعة الذاتية :

عن ابن عباس رضي الله عنهما في الوصية الذهبية الشهيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ). الترمذي (٢٥١٦).
 في الحديث تقوية الشجاعة والاختيار الذاتي، وترك التعويل على البشر أو الاهتمام بفعالهم، فالله المعتمد أولاً وأخيراً ، وإذا اعتقدت ذلك، ذاب الخوف ، ونمت الشجاعة، وتفاعل الإقدام وتعززت الثقة بالنفس، وتم الإحسان والإيقان .

١٤ / الحديث الرابع عشر: تنمية روح المبادرة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا، كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا - أَوْ : يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) . مسلم (١١٨).
 فيه فضل المبادرة بالأعمال الصالحة، وهي المسارعة، التي تقتضي الإقدام، وطرح التأخير والتباطؤ .

قال النووي رحمه الله: " معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المترامية كترام ظلام الليل المظلم لا المقمر . ووصف صلى الله عليه وسلم نوعاً من شدائد تلك الفتن ، وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه ... " .

١٥ / الحديث الخامس عشر: تحمل النقد والصبر على الجهال:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَثَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا؛ أَعْطَى الْأَقْرَعَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُبَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ وَجْهَ اللَّهِ. فَقُلْتُ: لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: (رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى؛ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا، فَصَبِرَ). البخاري (٤٣٣٦).

قال الحافظ: وفي الحديث جواز المفاضلة في القسمة، والإعراض عن الجاهل، والصفح عن الأذى، والتأسي بمن مضى من النظراء.

١٦ / الحديث السادس عشر: دفع الغضب وتوقيه:

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَيَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أُوْدَاغُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ". فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟ البخاري (٣٢٨٢) مسلم (٢٦١٠).

فيه كراهية الغضب في غير مواضعه.

قال النووي رحمه الله: فيه أن الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان، وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيز فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأنه سبب لزوال الغضب، وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه: "هل ترى بي من جنون؟" فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى، ولم يتهدب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله، ويتكلم بالباطل، ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال له: "أوصني"، قال: لا تغضب، "فردد مرارا قال: "لا تغضب"، فلم يزد في الوصية على "لا تغضب" مع تكراره الطلب..

١٧ / الحديث السابع عشر: تغيير البيئة عند اللزوم:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفسا... وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (قُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحْوُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ...). البخاري (٣٤٧٠) مسلم (٢٧٦٦).

فيه استحباب تغيير البيئات والمكث في الصالحة للعيش والبناء والتركية.

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخذان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدي بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته.

١٨ / الحديث الثامن عشر : تقوية الانتماء الاجتماعي :

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) . البخاري (٦٠١١) مسلم (٢٥٨٦) .
فيه بيان ما ينبغي أن يكون عليه الإخاء الإيماني ، وتقوية الرابطة أخويا واجتماعياً ، بحيث يكمل الانتماء ، وتنتفي الغربية .
قال النووي رحمه الله : (صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه ، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام) .

١٩ / الحديث التاسع عشر : خدمة الآخرين :

عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ ، فَمِنَّا الصَّائِمُ ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ ، قَالَ : فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبُ الْكِسَاءِ ، وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ ، قَالَ : فَسَقَطَ الصَّوَامُ ، وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ ، فَضَرَبُوا الْأَبْنِيَةَ ، وَسَقَوْا الرِّكَابَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ) . البخاري (٢٨٩٠) مسلم (١١١٩) .
فيه فضل خدمة الآخرين والنشاط في السفر ، والمبادرة إلى العمل التطوعي ، قال الشيخ السندي رحمه الله : (ذهب المفطرون بالأجر)
أي حصل لهم بالإعانة في سبيل الله من الأجر فوق ما حصل للصائمين بالصوم بحيث يقال كأنهم أخذوا الأجر كله والله تعالى أعلم .

٢٠ / الحديث العشرون : تقوية النفس وعزتها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ) . البخاري (٦٤٤٧) مسلم (١٠٥١) .
قال القرطبي رحمه الله : (معنى الحديث أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع ، فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه ، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله...) .

٢١ / الحديث الواحد والعشرون : فقه الأولويات :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّدَقَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عِنْدِي دِينَارٌ . فَقَالَ : (تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ) . قَالَ : عِنْدِي آخَرُ . قَالَ : " تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى رَجُلٍ " . قَالَ : " تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَادِكَ " . قَالَ : عِنْدِي آخَرُ . قَالَ : " تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ " . قَالَ : عِنْدِي آخَرُ . قَالَ : " أَنْتَ أَبْصَرُ " . أبو داود (١٦٩١) .

قال الخطابي رحمه الله : (هذا الترتيب إذا تأملته علمت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قدم الأولى فالأولى والأقرب فالأقرب، وهو أنه أمره أن يبدأ بنفسه ثم بولده؛ لأن ولده كبعضه فإذا ضيعه هلك ولم يجد من ينوب عنه في الإنفاق عليه...).

٢٢ / الحديث الثاني والعشرون: مجاهدة النفس :

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الْمُجَاهِدُ، مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ) .
الترمذي (١٦٢١).

أي المجاهد الحق الصحيح من اشتغل على نفسه، فعالج هواها، ومنعها رذائلها، وأخضعها في طاعة الله جدا وحبا واستقامة، فلا تعرض حسنة إلا لامسها، ولا سيئة إلا تباعد عنها .

٢٣ / الحديث الثالث والعشرون : التعويذة الروحية :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مُرَّنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ . قَالَ : (قُلْ : اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه " . قَالَ : " قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ) أبو داود (٥٠٦٧).

فيه الاستعاذة من شرور النفس، وخباياها وحبائلها ، وأن من البناء الذاتي الاستعصام بالله وسؤاله النجاة والمخرج من الأهواء والضلالات، وترويضها بالطاعات .
قال الشراح: أعوذ بك من شر نفسي "

أي من ظهور السيئات الباطنية التي جبلت النفس عليها " ومن شر الشيطان " أي وسوسته وإغوائه وإضلاله " وشركه " بكسر الشين وسكون الراء أي ما يدع إليه من الإشراف بالله ، ويروى بفتحتين أي مصادره وحبائله التي يفتتن بها الناس !..
قال ابن القيم رحمه الله: " وقد اتفق السالكون على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إمامتها والظفر بها " .

٢٤ / الحديث الرابع والعشرون : التفاعل الإيجابي مع الأحداث :

عَنْ صُهَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) . مسلم (٢٩٩٩).

فيه حسن التفاعل والتكيف مع أحداث الحياة ورزاياها، وأن المرء لا يكره من أمر الله شيئا، وأن لا يسخط وقت البلاء، أو يتعالى وقت الرخاء بل يشكر أو يصبر بدون تطاول أو تضجر .

٢٥ / الحديث الخامس والعشرون : تحفيز التنوع الخيري :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَانِمًا ؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا . قَالَ : " فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا . قَالَ : " فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا ؟ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا . قَالَ : " فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ) . مسلم (١٠٢٨) .

فيه الحض على الخيرات وتنوعها والتفاعل الاجتماعي العبادي كشهود الجنابة وعبادة المريض وفي ذلك من الخدمة الاجتماعية واشاعة الحب والترابط ما لا يخفى ، وبناء النفس عباديا، والجمع بين حاجة النفس وحاجات الآخرين، وأن هذه الشخصية هي الشخصية المعتدلة الرائعة، الدانية من الجنة ومنازلها .

٢٦ / الحديث السادس والعشرون : اعتدال الهموم والأفكار :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ) . الترمذي (٢٤٦٥) .

فيه الدعوة إلى الاعتدال والاتزان ما بين هم الدنيا والآخرة ، وأن التهمم الدنيوي المبالغ فيه، سبب للضياع والهلاك والإفلاس وفقدان الراحة والسعادة، وأن المسلم تطلعه الحقيقي في إصلاح الآخرة والاستعداد لها، ويجمع من الدنيا ما يوصله إلى الآخرة .

٢٧ / الحديث السابع والعشرون : شرط الإنجاز :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ -أَي- نِكَاحِهَا- امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَّ بِهَا ، وَلَمَّا بَيْنَ بِهَا ، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بَيْوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا ، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا...) البخاري (٣١٢٤) مسلم (١٧٤٧) .

فيه أن الإنجازات تحتاج خلو ذهن، وهدوء بال، وأن الأذهان المنشغلة عديمة الجدوى والنتاج .

قال في الفتح رحمه الله: " قال المهلب: في هذا الحديث أن فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبة البقاء، لأن من ملك بضع امرأة ولم يدخل بها أو دخل بها وكان على قرب من ذلك ، فإن قلبه متعلق بالرجوع إليها ويجد الشيطان السبيل إلى شغل قلبه عما هو عليه من الطاعة، وكذلك غير المرأة من أحوال الدنيا... وفيه أن الأمور المهمة ، لا ينبغي أن تفوض إلا لحازم فارغ البال لها، لأن من له تعلق ربما ضعفت عزيمته، وقلت رغبته في الطاعة، والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح وإذا اجتمع قوي " .

٢٨ / الحديث الثامن والعشرون : تحقيق رضوان الله :

عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا) . مسلم (٣٤) .

فيه أن من مقاصد الحياة تحقيق رضوان الله تعالى، وأنه سبب لطعومة الإيمان، وأن هذا أسمى الأهداف الحياتية، وهو بوابة كل عمل يسعى العبد إلى نيله، أو يعمد لإصلاح نفسه وبنائها . ولذلك كان لا بد لكل ساع في هذه الحياة أن يحوز التصور الصحيح لها، فلا ينفع الذكاء ولا العبقرية بلا هداية وزكاء! قال تعالى: (قد أفلح من زكاهها، وقد خاب من دساها) سورة الشمس .

٢٩ / الحديث التاسع والعشرون : المجاهدة العبادية :

عن المغيرة رضي الله عنه قال : قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) . البخاري (٤٨٣٦) مسلم (٢٨١٩) .

فيه الحرص على العبادة، ومجاهدة النفس على ذلك، وتعويدها الطاعة والانقطاع، ومن الخطأ بناء النفس بالمعلومات والتدريبات دون عبادة خصبية ، وورد مستديم . قال ابن بطال رحمه الله : في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك ، فضلا عن من لم يأمن من أنه استحق النار انتهى ، قال الحافظ : ومحل ذلك ما إذا لم يفيض إلى الملل ؛ لأن حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال : وجعلت قرّة عيني في الصلاة . فأما غيره صلى الله عليه وسلم فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه ، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم : " خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا " انتهى .

٣٠ / الحديث الثلاثون : مقابلة الأذى بالصفح :

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) . البخاري : (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٢) .

فيه فضل الصفح والتجاوز عن الأذى، واحتمال كل ضربات الحياة للأهداف السامية . قال النووي رحمه الله: " فيه ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم والتصبر ، والعفو والشفقة على قومهم ، ودعائهم لهم بالهداية والغفران ، وعذرهم في جناباتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون ، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين ، وقد جرى لنبينا صلى الله عليه وسلم مثل هذا يوم أحد . قوله : (وهو ينضح الدم عن جبينه) هو بكسر الضاد ، أي : يغسله ويزيله " .

٣١ / الحديث الواحد والثلاثون : الصدقة اليومية:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ . فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ " . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ " . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " فليَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) . البخاري (١٤٤٥) مسلم (١٠٠٨).

فيه استحباب التصدق كل يوم لمن قدر عليها، وأن فيها من الفوائد الجمة ما لا يخفى . قال الحافظ : وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة نفع الله به : ترتيب هذا الحديث أنه ندب إلى الصدقة، وعند العجز عنها ندب إلى ما يقرب منها أو يقوم مقامها وهو العمل والانتفاع، وعند العجز عن ذلك ندب إلى ما يقوم مقامه وهو الإغاثة، وعند عدم ذلك ندب إلى فعل المعروف، أي: من سوى ما تقدم كإمطاة الأذى، وعند عدم ذلك ندب إلى الصلاة، فإن لم يطق فترك الشر، وذلك آخر المراتب. قال: ومعنى الشر هنا ما منعه الشرع، ففيه تسوية للعاجز عن فعل المندوبات إذا كان عجزه عن ذلك من غير اختيار. قلت: وأشار بالصلاة إلى ما وقع في آخر حديث أبي ذر عند مسلم: " ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى " .

٣٢ / الحديث الثاني والثلاثون : الشعور التفاولي:

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا عَدْوَى وَلَا طِيْرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ ؛ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ) . البخاري (٥٧٥٦) مسلم (٢٢٢٤) . فيه استحباب التفاؤل، ومنه الملائف الحسنة، والتصورات الطيبة ، ونبذ الطيرة وهي التشاؤم والتوقعات السيئة .

قال النووي رحمه الله: وأما " الفأل " فمهموز ، ويجوز ترك همزه ، وجمعه فنؤل كفلس وفلوس ، وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالكلمة الصالحة والحسنة والطيبة .

قال العلماء : يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء ، والغالب في السرور ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، قالوا : وقد يستعمل مجازاً في السرور ...، قال العلماء : وإنما أحب الفأل ؛ لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال ، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير ، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له ، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء !..

٣٣ / الحديث الثالث والثلاثون : التناوب في الفضائل:

عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الإيلاء الطويل، وسؤاله لعمر رضي الله عنه قال: قَالَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَكَانَ لِي جَارٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النَّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزَلُ يَوْمًا، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ ؛ -أي نعال الخيل- لِنَعْرِوْنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي، ثُمَّ أَتَانِي عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي، ثُمَّ نَادَانِي، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ : حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ : مَاذَا، أَجَاءَتْ غَسَّانُ ؟ قَالَ : لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ

وَأَطْوَلُ ؛ طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ .. البخاري (٢٤٦٨) مسلم (١٤٧٩).

فيه التناوب على الفضائل، وأن الأشغال المنزلية والتجارية وإن حالت فثمة حلول ومخارج للتعويض، وعدم الانقطاع المطلق ، نحو تفويت دروس العلم، وهجران الفرائد، ولقاء الأساتذة . قال الحافظ رحمه الله: وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ، ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، لما علم من حال عمر أنه كان يتعانى التجارة..اهـ.

٣٤ / الحديث الرابع والثلاثون : العصامية الذاتية :

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ : إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَأَذَا حَلَّتْ تَزَوُّجَتَهَا. قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سَوْقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ ؟ قَالَ : سَوْقٌ قَيْنُقَاعٍ. قَالَ : فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ. قَالَ : ثُمَّ تَابَعَ الْعُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَزَوَّجْتَ ؟ " قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : " وَمَنْ ؟ " قَالَ : امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ : " كَمْ سَقَّتْ ؟ " قَالَ : زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. أَوْ : نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَوْلِمَ، وَلَوْ بِشَاةٍ ". البخاري (٢٠٤٨).

فيه فضل عصامية ابن عوف ودخوله السوق وتكسبه بنفسه، وبحبل مجرد في بعض الروايات، ومروءة الأنصار وإيثارهم لإخوانهم على أنفسهم . قال في الفتح: وفيه أن الكسب من التجارة ونحوها أولى من الكسب من الهبة ونحوها.

٣٥ / الحديث الخامس والثلاثون: إتقان العمل :

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) . البيهقي في الشعب (١٨٦٧ / ٤) . فيه فضل إتقان العمل وانه من محبوبات الباري تعالى، وكراهية تضييعه، وكما قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا... كَنَقَصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
وَأَنْفٍ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي... إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ

٣٦ - الحديث السادس والثلاثون: الكفاح المعيشي :

عَنْ الْمُقَدَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) . البخاري (٢٠٧٢) .

فيه فضل الاكتساب من عمل اليد وكد المرء ومهنته، قال تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) سورة الملك . وفي ذلك من البركة والسرور والاستغناء ما لا يخفى، وأنه منهج الأنبياء، وتواضع داود عليه السلام فقد كان ملكاً وكان حداداً يأكل من عمل يده .

٣٧- الحديث السابع والثلاثون: تشجيع العمل الجماعي:

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَخْفِرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ، وَيَقُولُونَ : نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ) . البخاري (٢٣٨٥) مسلم (١٨٠٥) .

فيه مشروعية العمل الجماعي وتشجيعه ومشاركة القادة فيه، وأن اجتماعهم مما يخفف المتاعب، ويزيح الصعاب، واستحباب إنشاد الشعر . قال الحافظ : وفيه أن في إنشاد الشعر تنشيطاً في العمل وبذلك جرت عادتهم في الحرب وأكثر ما يستعملون في ذلك الرجز .

٣٨- الحديث الثامن والثلاثون: تقدير العقول والآراء :

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الحديبية: (أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ، وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، ...) . البخاري (٤١٧٩) . فيه استحباب الشورى ومشاورة القائد أصحابه واستماع لأرائهم، وقد تكرر منه ذلك في بدر وأحد ومواطن كثيرة . وفيه الاصغاء للناس وتطبيب خواطرهم، وعدم الاعتداد بالقول الواحد، والرأي الفريد .

٣٩ / الحديث التاسع والثلاثون : استثمار المغانم :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه : (اغتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سِقَمِكَ ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفِرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) . الحاكم (٧٨٤٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٤٨) بسند حسن . فيه ضرورة استثمار هذه المغانم الخمس، وأن إهمالها خسارة كبرى للمسلم، سواء وقته أو شبابه، أو صحته، فاستغلالها من علامة عالي الهمة، وقاد العزيمة .

٤٠ / الحديث الأربعون : الحديث الأربعون : الطموح العالي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) . البخاري (٢٧٩٠) .

فيه بيان أن الجنة درجات، وأن الفردوس، ويُستحب سؤاله، وأن لم يدركه العبد، وفي ذلك تربية على الطموح والسمو في الدعاء، فيكفيك محبة العلو، ومرافقة الأخيار، وطلب فضل الله الواسع .

٤١ / الحديث الواحد والأربعون : الحكمة والترفع عن السفهاء:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهَّمْتُهَا، فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ". فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ ". البخاري (٦٠٢٤). مسلم (٢١٦٥) .

في الحديث: عدم مجاراة السفهاء وإشغال الروح بهم، والحكمة في مخاطبتهم . قال النووي رحمه الله: هذا من عظيم خلقه صلى الله عليه وسلم وكمال حلمه ، وفيه حثٌ على الرفق والصبر والحلم ، وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة .

٤٢ / الحديث الثاني والأربعون : قفو المعالي والارتقاء بالذات:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله كريمٌ يحبُّ الكرم، ويحبُّ معاليَ الأخلاق، ويكره سفسافها) الطبراني في الكبير ٦ : ١٨١، والحاكم في المستدرک (٤٨ / ١) . (وفي رواية: (إن الله عزُّ وجل كريمٌ يحبُّ الكرماء، ويحبُّ معاليَ الأمور، ويكره سفسافها) .

فيه استحباب طلب معالي الأمور ورفيعها، وأن ذلك ديدن الفضلاء الكاملة، ومعالي الأمور هي أشرفها التي تتطلع إليها النفوس الكبيرة والعقول السليمة . والسفساف: كما قال العلامة المناوي: ويكره سفسافها - أي رديئها وحقيرها وفاسدها، فمن اتصف بالأخلاق الزكية أحبه الله، ومن تحلى بالأوصاف الرديئة كرهه، والإنسان يضارع المَلَكَ بقوة الفكر والتمييز، ويضارع البهيمة بالشهوة والدناءة، فمن صرف همته إلى اكتساب معالي الأخلاق أحبه الله، فحقيق أن يلتحق بالملائكة لطهارة أخلاقه، ومن صرفها إلى السفساف ورتائل الأخلاق التحق بالبهائم. اهـ ملخصاً .

٤٣ / الحديث الثالث والأربعون : عمارة الحياة وإشباعها :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ). البخاري (٢٣٢٠) مسلم (١٥٥٣) .

في الحديث فضل الزراعة والصدقة ونفع الناس ، وجعلها متاحة للجميع تحصيلًا للثواب، وإسعادا للروح والخلائق .

قال العلامة ابن باز رحمه الله: " فينبغي للمؤمن أن تكون له همة عالية ، ونية طيبة في كل أعماله؛ زراعة غراسه سقي ماء أي شيء ينفع الناس تكون له فيه نية صالحة يرجو فيها ثواب الله؛ كالزراع والغرس وإيجاد مصانع الماء للناس ومحل ورد للناس وتسهيل الطريق وإزالة الأذى من الطرق إلى غير هذا من وجوه الخير، والصدقة بالقليل اتقوا النار ولو بشق تمره " .

٤٤ / الحديث الرابع والأربعون : ترك الفضول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) حديث حسن رواه الترمذي (٢٣١٧) .
فيه استحباب ترك الفضوليات، وأن ذلك من حُسن الإسلام وتمامه وجماله، وهو أدعى لسلامته وصحته نفسياً واجتماعياً .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتاب جامع العلوم والحكم : معنى هذا الحديث: أن من حسن إسلامه تركه ما لا يعنيه من قول وفعل ، واقتصره على ما يعنيه من الأقوال والأفعال ، ومعنى (يعنيه) أنه يتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه ، والعناية شدة الاهتمام بالشيء ، يقال عناه يعنيه : إذا اهتم به وطلبه ، وإذا حُسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعنيه كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها ، فإن هذا كله لا يعنيه المسلم إذا كمل إسلامه انتهى مختصراً .

٤٥ / الحديث الخامس والأربعون : سلامة الصدر :

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ ؛ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : تَحْلُقُ الشَّعْرَ . وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَفَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) . الترمذي (٢٥١٠) .

فيه وجوب تطهير القلب من كل حسد وغائلة، والحرص على التصافي وإشاعة الحب والسلام، ومن أحسن ذلك إفشاء السلام بالتواضع والليونة .

قال في التحفة: " لا أقول تحلق الشعر) أي تقطع ظاهر البدن فإن أمر سهل.

(ولكن تحلق الدين)

وضرره عظيم في الدنيا والآخرة . قال الطيبي : " أي البغضاء تذهب بالدين كالموسى تذهب بالشعر وضمير المؤنث راجع إلى البغضاء كقوله تعالى : (والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها) وقوله تعالى : { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة } ولأن البغضاء أكثر تأثيراً في ثلثة الدين وإن كانت نتيجة الحسد.. "

٤٦ / الحديث السادس والأربعون : استدامة العطاء :

عن أنس رضي الله عنه أنه استعاذ صلى الله عليه وسلم (من الجبن والهزم ..) البخاري (٢٨٢٣) مسلم (٢٧٠٦) .

فيه ذم الهرم وهو الكبر الزائد، والعمر الممتد ، المودي للانقطاع والضعف في الطاعة والهمة .

قال النووي رحمه الله :

"أَمَّا اسْتِعَاذَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهَرَمِ ، فَأَلْمُرَادُ بِهِ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنَ الرَّدِّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ كَمَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي بَعْدَهَا ، وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَرَفِ ، وَاخْتِلَالِ الْعَقْلِ وَالْحَوَاسِّ وَالضَّبْطِ وَالْفَهْمِ ، وَتَسْوِيهِ بَعْضِ الْمَنَاطِرِ ، وَالْعَجْزِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ ، وَالتَّسَاهُلِ فِي بَعْضِهَا" .

٤٧ / الحديث السابع والأربعون: طرح الفشل وقدح العمل :

عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اَعْمَلُوا ؛ فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ) . ثُمَّ قَرَأَ : { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى } { وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى } ، إِلَى قَوْلِهِ : { لِلْعُسْرَى } . البخاري (٤٩٤٩) . مسلم (٢٦٤٧) .

فيه الحض على العمل في كل الظروف، وعدم الركون للضعف أو الفشل أو الاستسلام للقدر، فمن القدر التحرك والانطلاق ورفض الهزيمة والمدافعة .
قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر ، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها ، وكل ميسر لما خلق له ، لا يقدر على غيره ، ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم كما قال : قال : { فسنيسه لليسرى } و { للعسرى } ، وكما صرحت به هذه الأحاديث .

٤٨ / الحديث الثامن والأربعون: العزيمة النفسية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، ...) مسلم (٢٦٦٤) .
فيه دليل على أهمية العزيمة النفسية والهمة العالية في الخيرات وأعمال الآخرة .
وقد تقدم ذكره وقول النووي رحمه الله فيه: (والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة ،) .

٤٩ / الحديث التاسع والأربعون : الكنز التغييري :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : في الدعاء (وَلَكِنْ لِيُعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، وَلِيُعْظِمَ الرَّغْبَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ) .
فيه بيان أن الدعاء كنز ثمين للتغيير واستجلاب الأفضال من الله تعالى، فلا يفرط فيه، أو يزهّد في ثمراته. والمهم تعظيم الرغبة، والإلحاح في المسألة .
قال النووي رحمه الله : قال العلماء : عزم المسألة : الشدة في طلبها ، والجزم من غير ضعف في الطلب ، ولا تعليق على مشيئة ونحوها ، وقيل : هو حسن الظن بالله تعالى في الإجابة ، ومعنى الحديث : استحباب الجزم في الطلب ، وكراهة التعليق على المشيئة .. !

٥٠ / الحديث الخمسون: الإتقان المطلق للأعمال وتحسينها:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) . مسلم (١٩٥٥) .
فيه دليل على مشروعية الإحسان في كل شيء وعمومه في سائر الأعمال ولكن إحسان كل شيء بحسبه.

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام . والله أعلم .

الإحسان هو بذل المنفعة والخير. ويطلق في عرف الشارع على أمرين: إيصال النفع إلى الآخرين، وإتمام العبادة وإتقانها ، وفي القرآن: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) سورة النحل .

وقال ابن القيم رحمه الله: فإنَّ الإحْسَانَ يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النِّعم ويدفع النَّقم، وتركه يوجب الضَّيْم والضَّيِّق، ويمنع وصول النِّعم إليه، فالجبين: ترك الإحْسَانَ بالبدن، والبخل: ترك الإحْسَانَ بالمال) .

٥١ / الحديث الواحد والخمسون : إبراز العباقرة والموهوبين :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ دُنُوبًا أَوْ دُنُوبَيْنِ، وَفِي بَعْضِ نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ عَزْبًا ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَهُ ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطْنِ) البخاري (٣٦٣٤) مسلم (٢٣٩٢) .

فيه بيان لفضائل الصحابة، وإبراز العباقرة منهم، والإشادة بدور عمر في الفتوحات الإسلامية .

والعبقري قال في الفتح: والمراد به: كل شيء بلغ النهاية، وأصله: أرض يسكنها الجن ضرب بها العرب المثل في كل شيء عظيم، ويفري فريته بالتشديد أي: يعمل عمله البالغ، ويحسن ويجيد .

وقال النووي رحمه الله : قالوا: هذا المنام مثال لما جرى للخليفين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام وقرر قواعد الدين، ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم، ثم خلفه عمر فانتسج الإسلام في زمنه، فشبه أمر المسلمين بقلب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم، وشبه بالمستقي لهم منها، وسقيه هو قيامه بمصالحهم.

٥٢ / الحديث الثاني والخمسون : حذر الشخصية السلبية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْصِنِي ؟ قَالَ : (لَا تَغْضَبْ " . فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ : " لَا تَغْضَبْ) . البخاري (٦١٢٦) .

فيه الحذر من الغضب والاندفاع والتخلق بصفاتهما من الاستعجال، والتشنج الدائم . قال الخطابي: معنى قوله: " لا تغضب " : اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه؛ لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة، ..

وقيل: معناه: لا تغضب؛ لأن أعظم ما ينشأ عن الغضب الكبر؛ لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده فيحمله الكبر على الغضب، فالذي يتواضع حتى يذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب. وقيل: معناه: لا تفعل ما يأمرك به الغضب. وقال البيضاوي: لعله لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما هي من شهوته ومن غضبه، وكانت شهوة السائل مكسورة، فلما سأل عما يحترز به عن القبائح نهاه عن الغضب الذي هو أعظم ضررا من غيره، وأنه إذا ملك نفسه عند حصوله كان قد قهر أقوى أعدائه. انتهى،...! باختصار من الفتح .

٥٣ / الحديث الثالث والخمسون: الابتسامه الجذابة :

عَنْ جَرِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أُسْمِتُ، وَلَا رَأْيِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ. البخاري (٣٠٣٥) مسلم (٢٤٧٥).
فيه استحباب التبسم عند التلاقي واستقبال الناس، وهي السحر الحلال، والسهم المخترق ، وصاحبه محبوب على كل الأحوال .

قال النووي رحمه الله: معناه : ما منعني الدخول عليه في وقت من الأوقات ، ومعنى " ضحك " : تبسم ، كما صرح به في الرواية الثانية ، وفعل ذلك إكراما ولطفا وبشاشة ، ففيه استحباب هذا اللطف للوارد ، وفيه فضيلة ظاهرة لجرير .

٥٤ / الحديث الرابع والخمسون: الإيجابي في أشد الظروف : عن أنس بن مالك ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ ، وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ) . أحمد (١٢٩٨١).

فيه الحض على العمل والتفاعل الإيجابي ولو في أحلك الظروف، وفي ذلك ترغيب على الجد، وجني الحسنات ، والاستعداد الدائم ليوم الرحيل ، وأن العبرة بالبناء وليس بالهدم .

٥٥ / الحديث الخامس والخمسون: الموعدة بالأفعال :

عن المسور ومروان بن الحكم قالا في قصة صلح الحديبية قالا : فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَضِيَةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : " فُؤِمُوا فَاَنْحَرُوا ثُمَّ اِخْلُقُوا " . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تَكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ ، وَتَدْعُوَ خَالَفَكَ فَيُخَلِّقَكَ . فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ؛ نَحَرَ بَدَنَهُ ، وَدَعَا خَالَفَهُ فَخَلَّقَهُ . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمَّا . البخاري (٢٧٣٢) أحمد (١٨٩١٠).

فيه الموعدة والتربية بالأفعال، وأن الفعل يكون أبلغ أحيانا من القول والخطب والصراخ .

قال في الفتح: وفيه فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد، وليس فيه أن الفعل مطلقا أبلغ من القول، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة،

وفضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة.
قلت: لا يعني ذلك تفضيل الأفعال مطلقاً، ولكنها أحياناً وفي مواطن تفوق النصائح والتوجيهات، وكم من حالة أفاها الفعل والسلوك، لا القول والكلام .

٥٦ / الحديث السادس والخمسون: أسرار النجاح والبركة:

عَنْ صَخْرِ الْعَامِدِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا) . وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا ، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَأَثَرِي وَكَثُرَ مَالُهُ . أبو داود (٢٦٠٦) .
فيه استحباب البكور في الأعمال والعلم وقضاء الحوائج ، وأن ذلك سر للنجاح والبركة، وفيه دم مبطن للنوم تلك الساعات ، فما أفلح نوم البكور، ولا بلغوا المجد ولا القصور..!

٥٧ / الحديث السابع والخمسون: الرشاد والسلامة اليومية :

عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ) . أبو داود (٥٠٩٤) .

قال في التحفة : وفي تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي: قال الطيبي: إن الإنسان إذا خرج من منزله لا بد أن يعاشر الناس ويزاول الأمر فيخاف أن يعدل عن الصراط المستقيم، فإما أن يكون في أمر الدين فلا يخلو من أن يضل أو يُضَلَّ، وإما أن يكون في أمر الدنيا فإما بسبب جريان المعاملة معهم بأن يظلم أو يُظلم، وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة فإما أن يجهل أو يُجهَل. فاستعيذ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز، وروعي المطابقة المعنوية والمشكلة اللفظية. انتهى .

٥٨ / الحديث الثامن والخمسون: كراهية تأجيل الأعمال :

عن عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ فَأَسْرَعَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ ، فَقُلْتُ - أَوْ قِيلَ لَهُ - فَقَالَ : (كُنْتُ خَلَفْتُ فِي الْبَيْتِ تَبْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَكْرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ فَقَسَمْتُهُ) . البخاري (١٤٣٠)
فيه استحباب تعجيل بالعمل، وكراهية التأجيل والمراكمة، وقد قالوا: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.

قال في الفتح: قوله: (يحبسني) أي يشغلني التفكير فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى. وفهم منه ابن بطال معنى آخر فقال فيه إن تأخير الصدقة تحبس صاحبها يوم القيامة.

٥٩ / الحديث التاسع والخمسون: معتمدك الله، لا النفس القاصرة:

عن أبي بكر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ : اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) أبو داود (٥٠٩٠) .

فيه الاعتماد المطلق على الواحد الأحد، فهو النصير والمعين سبحانه وتعالى ، وأن النفس مهما امتلكت من مواهب ومهارات، فهي ضعيفة محدودة، إن حرمت الفضل والتوفيق، وأعظم الخذلان أن يكلك الله إلى نفسك!..

إذا لم يكن عون من الله للفتى... فأول ما يجني عليه اجتهاده!..

قال ابن القيم رحمه الله: " أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخْلِىَ بينك وبين نفسك) .

٦٠ / الحديث الستون : الشجاعة في أول موقف :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ : " اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي " . قَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ . فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ . فَقَالَ : (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) . البخاري (١٢٨٣) مسلم (٩٢٦) .

في الحديث: تربية النفس على الشجاعة والصبر عند المواقف، وأولها اختبار وفحص للشخصية، لأنها إذا تجاوزته تربت وتهيات لما بعده.

قال في الفتح رحمه الله : والمعنى إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر. وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب، قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يُحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنه على الأيام يسلو . وفيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة، وأن المواجهة بالخطاب إذا لم تصادف المنوي لا أثر لها.

٦١ / الحديث الواحد والستون: الإيجابية النافعة :

عن عائشة رضي الله عنها قال في قصة نزول الوحي ، فقالت له خديجة رضي الله عنها : (كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتَّصِلُ الرَّحْمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ..) . أخرجاه .

فيه فضل الإحسان إلى الخلائق، وما يسمى عصريا بالإيجابية ، والتفاعل ونفع الآخرين، قال تعالى : (وجعلني مباركا أينما كنت) سورة مريم .

قال النووي رحمه الله : قال العلماء رضي الله عنهم : معنى كلام خديجة رضي الله عنها إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمانل . وذكرت ضروبا من ذلك وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء . وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال

لمصلحة نظرا . وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيريه وذكر أسباب السلامة له . وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها ، وجزالة رأيها ، وقوة نفسها ، وثبات قلبها ، وعظم فقهها . والله أعلم .

٦٢ / الحديث الثاني والستون: مشاركة الآخرين فرحهم:

عن كعب رضي الله عنه في قصة توبته المشهورة قال: والناس يقولون: لنتهك توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهزول حتى صافحني، وهناني، والله، ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: " أبشِرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك " . البخاري (٤٤١٨) مسلم (٢٧٦٩) .

فيه استحباب التبشير ومشاركة الآخرين أفراحهم ، وأن ذلك سبب في إسعاده وسعادة الروح، وفيه من التواضع والوفاء والصفاء ما لا يخفى .

٦٣ - الحديث الثالث والستون : إسعاد الآخرين :

عن عائشة أنها قالت : جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورفعت إلي فيها ثمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار) . مسلم (٢٦٣٠) .

فيه فضل الإحسان إلى الآخرين، وأنه من أسباب السعادة، ومحبة الصدقة والتراحم بين الناس، وفضل الأبوين لا سيما الأم على الأبناء .

٦٤ - الحديث الرابع والستون: الثقة بالله وأفضاله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني) البخاري (٧٤٠٥) مسلم (٢٦٧٥) .

ولفظ الدارمي (فليظن بي ما شاء) (٢٧٧٣) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

فيه وجوب إحسان الظن بالله تعالى وفضله وسعة رحمته ، وأنه كريم واسع العطاء، عفو عظيم التجاوز ، يجيب من دعاه، ويغفر لمن رجاه .

وقال بعضهم :

ما للعباد عليه حق واجب...كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعده أو نعموا .. فيفضله وهو الكريم الواسع

قال النووي رحمه الله: قال القاضي : قيل : معناه بالغفران له إذا استغفر ، والقبول إذا تاب ، والإجابة إذا دعا ، والكفاية إذا طلب الكفاية . وقيل : المراد به : الرجاء وتأميل العفو ، وهذا أصح .

قوله تعالى : (وأنا معه حين يذكرني) أي : معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية ، وأما قوله تعالى : { وهو معكم أينما كنتم } فمعناه بالعلم والإحاطة . والله الموفق.

**تمّ بحمد الله وتوفيقه ، أربعون البناء الذاتي
في السنة النبوية ، نفعنا الله وإياكم بهديه
واتباع سنته ، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين //**
